

## المحاضرة العاشرة

### الشيعة الزيدية - الشيعة الاسماعيلية

أولاً : الزيدية: ( تعريفها ، نشأتها ، أفكارها وعقائدها ومواقفها)

- تعريف الزيدية :

إحدى فرق الشيعة الثلاث الكبرى الموجودة في العالم الإسلامي حتى اليوم ، وقد قامت -كما اشرنا - على تراث زيد بن علي زين العابدين الذي كان يرى أن علياً هو أفضل الصحابة ، ولكن الصحابة فوضوا الإمامة لأبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها<sup>(١)</sup>.

- نشأت الزيدية :

الشيعة الزيدية : هم أصحاب زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ؑ، وقد خرج زيد ؑ على بني أمية ، ووقف موقفاً شبيهاً بموقف جده الإمام الحسين ؑ مع يزيد بن معاوية ، وقد تلقى زيد ؑ العلم في المدينة والبصرة والعراق ، وبلغ درجة عالية من العلم والفقہ ، وأصبح إماماً لمذهب فقهي يتبعه الزيود . ويقال بأن زيداً كان على صلة بواصل بن عطاء شيخ المعتزلة ، وربما كان لهذا أثراً على بعض آراء زيد الكلامية .

ولقد كانت هناك طائفة غير قليلة من الشيعة يرون أن الإمامة بعد الحسين ؑ لابنه زين العابدين ومن بعده لابنه محمد الباقر ؑ ، غير أن هذين الرجلين رغبا عن ممارسة الحياة السياسية ، فأثر أولهما (زين العابدين) حياة العبادة والتبتل ، وصرف الثاني (محمد الباقر) همته إلى دراسة الفقہ والحديث . وهنا خرج زيد بن علي زين العابدين ؑ إنكاراً لاتخاذ وراثته الملك سنة في الحكم واستتكاراً لسيرة من عُرف بالتجبر في الأرض والفسق والفجور ، ولقد بدأ خطبته بأهل الكوفة الذين ألتفوا حوله وأعلنوا له الولاء وألحوا في الخروج معه ، ووعدوه بالنصر والمؤازرة ، وأخيراً لم يجد زيد ؑ بدأً من الخروج ، فخرج على الخليفة هشام بن الحكم ، وخاض عدة معارك كان النصر فيها حليفه ، وبينما كان زيد ؑ يُعد العدة لاحد المعارك خطب في أصحابه حاثاً لهم على الاستعداد للحرب ، فتوقفت طائفة منهم

(١) المدخل الى دراسة علم الكلام ، الشافعي ، (ص ١٠٣)

وطالبوه بأن يوضح لهم رأيه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهم ، ولم يكن من زيد عليه السلام إلا أن يقول : اني لا أقول فيهم إلا خيرا ، ولما سمع أصحابه هذه المقالة منه تفرقوا عنه ورفضوه ، وبقي زيد بن علي زين العابدين عليه السلام في ثلة قليلة من رجاله أخذوا يقاتلون جند يوسف بن عمر الثقفي ، حتى استشهدوا عن آخرهم ، وفيهم زيد بن علي عليه السلام سنة ١٢١هـ .

وهكذا أسفر موقف شيعة الكوفة من زيد بن علي زين العابدين ، واختلافهم معه حول رأيه في الشيخين أبو بكر وعمر عن ظهور فرقتين من الشيعة : الأولى اختلفت معه ورفضته وقالت بإمامة ابن إخيه جعفر الصادق عليه السلام وبعده الباقر عليه السلام . والثانية : هم الزيدية الذين دانوا بإمامته ، وناصروه في خروجه على هشام بن عبد الملك ، وبايعوا بعده ابنه يحيى ، ومضوا يحملون علم الجهاد مع أئمتهم .

"وقد جمعت آراء زيد في " مجموع " كان موضع شرح الأئمة والعلماء الزيدية اللاحقين ، ولكن الفترة الثانية من تاريخ علم الكلام التي نعرض لها الآن شهدت انشاقات في الزيدية نجمت منها شعب تخالف منهج زيد قليلا أو كثيرا كالجارودية والبترية والسليمانية وغيرها .

أما جمهور الزيدية فقد ظلوا على ولائهم للروح العام التي غرسها إمامهم الأول ، ومن ثم كانوا أقرب فرق الشيعة إلى اهل السنة ، بل إن هناك تيارا محافظا بينهم يغلب عليه الولاء الشديد للأحاديث والأخبار - ولكن مع نزعة سلفية لا حشوية - يوازن الاتجاه الاعتزالي الذي ما يزال سائدا عند القوم ، مما يعطي للفكر الزيدي لونا خاصا ، وأصالة مشهودة في العقيدة وفي الفقه، وقد حارب هذه الفكر لظروف خاصة في هذه المرحلة ومن بعدها الفكر الباطني الاسماعيلي وصارعه بكل قوة<sup>(٢)</sup> .

- أفكار وعقائد الزيدية :

- أهم ما تميزت به الزيدية من سائر الشيعة . هم يقولون :
- أ. يجوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل وصحتها .

---

(٢) المدخل الى دراسة علم الكلام ، الشافعي ، (ص ١٠٤)

ب. أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي رضي الله عنه بوصفه لا بشخصه ، والصحابة لم يتعمدوا المخالفة .

ت. وأن الإمام ينبغي أن يكون علوياً فاطمياً زاهداً سخياً شجاعاً وأن يخرج داعياً إلى نفسه أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر .

ث. وهم يجوزون تعدد الأئمة في قطرين متباعدين إذا دعت الحاجة ، ولا يقولون بعصمة ولا رجعة ، ويقصرون مهمة الإمام على حفظ الشريعة وتنفيذها فقط ، خلافاً لثلاث عشرة وإسماعيلية ، تلك هي أبرز آرائهم في الإمامة ، أما في مسائل العدل والتوحيد فقد تبنا في الغالب آراء المعتزلة ومناهجهم الكلامية ، وصلة إمامهم زيد بالمعتزلة معروفة ، ولعلمهم أول الفرق تأثراً بالمعتزلة حتى ليقول ابن المرتضى إن زيدا قبل الأصول الخمسة إلا الأصل المتعلق بالمنزلة <sup>(٣)</sup> بين المنزلتين

لقد كانت الصلة - التي سبق أن أشرنا إليها - بين زيد بن علي عليه السلام وواصل بن عطاء رأس الاعتزال ذات أثر واضح على الآراء الكلامية للزيدية ، إذ قبل زيد الأصول الخمسة للمعتزلة ، حاشاً أمر المنزلة بين المنزلتين ، وإن كانت بعض الدراسات المعاصرة تذهب إلى التقارب بين موقف زيد بن علي عليه السلام في المنزلة بين المنزلتين وموقف المعتزلة من القضية ذاتها .

**أصول الزيدية .**

**أولاً : التوحيد .**

وهو إنكار التعدد والاعتقاد بأن الله واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا على الحد الذي يستحقه ، والاقرار به ، كما أنكروا الصفات القديمة الزائدة على الذات فقالوا : هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حي بذاته ، لا يعلم وقدرة وحياته . وهو عين ما ذهب إليه المعتزلة . يقول أبو زهرة : « وإذا كان زيد يتفق في جملة من الآراء مع واصل بن عطاء ، فإنه يصح لنا أن نقول : أن رأي زيد في الصفات كأنه هو رأي واصل ، وتفصيل ذلك الرأي ان الله تعالى يتصف بأنه حي قادر سميع بصير ولكن بذاته ، ومن غير قدرة زائدة على الذات ولا سمع زائد على الذات وذلك ليتفادوا قول الحشوية ، وليتفادوا قول النصارى الذين أدعوا أن الأقانيم الثلاثة صفات للذات العلية ،

(٣) المدخل الى دراسة علم الكلام ، الشافعي ، (ص ١٠٣)

وقد كفرهم الله لأنهم قالوا إن الله ثالث ثلاثة» .

وقد صرح الشيخ المفيد بأن الزيدية على إثبات وصف الله تعالى بالصفات التي جاءت في القرآن والسنة على أنها ليست معاني غير الذات ، وقد صرح بذلك في كتابه أوائل المقالات .

وقد تفرع عن مشكلة علاقة الصفات بالذات أمور أخرى منها :

- مشكلة خلق القرآن باعتباره كلام الله تعالى ، وقد آمنت الزيدية بفكرة خلق القرآن وإن لم يرد عن الامام زيد عليه السلام نفسه نص يمس هذه المسألة لا من قريب ولا من بعيد، ونجد أن القاسم الرسي يمدح بأن الله أنشأ كلامه وأسمعه الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمه ، وكل مسموع من الله فهو مخلوق ، لانه غير الخالق له .

- الزيدية ينفون الجسمية ولو احقها عن الله تعالى ، وقد ترتب على ذلك نفي رؤية الله تعالى بالبصر في الآخرة ، وتأولوا قول الله تعالى : ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] بأنه يعني انتظار ثواب الله وكرامته ورحمته .

- تأولت الزيدية جميع الصفات الخبرية الموهمة للتشبيه تأويلاً مجازياً ، فأولوا اليد بالقدرة أو النعمة ، والوجه بالذات ، والمجيء بأنه مجيء آيات الله من الزلازل والأهوال.

**ثانياً : العدل .**

يعد العدل الأصل الثاني من أصول الزيدية - كما المعتزلة - وليس هناك خلاف بينهما إلا في بعض الجزئيات .

ومعنى العدل عند الزيدية هو : أن يعلم أنه - عز وجل - عدل في جميع أفعاله، ناظر لخلقه، رحيم بعباده، لا يكلفهم ما لا يطيقون، ولا يسألهم ما لا يجدون، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. وأنه لم يخلق الكفر، ولا الجور، ولا الظلم، ولا يأمر بها، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يظلم العباد، ولا يأمر بالفحشاء". وقيل : في معنى العدل: أنه مُنَزَّه عن صفات النقص في أفعاله، وهو أنه لا يفعل القبيح، ولا يرضاه، ولا يُحبه، ولا يُريده، ولا يُجبر العبد عليه، ولا يكلف أحداً فوق طاقته، وأنه لا يمنع المكلف الاستطاعة، وأنه لا يجور ولا يظلم أحداً، ولا يكذب، ولا يخلف الوعد والوعد

ويستدل الزيدية على أصل العدل بقول الله - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، ويقوله - تعالى - : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] وغيرها .

ومما سبق من النصوص نستطيع أن نخرج بإيجاز مذهب الزيدية في العدل بأنه: نسبة العدل والإحسان في الأفعال، والأقوال إلى الله، ونسبة الجور والعدوان إلى الشيطان، وفعل الإنسان، وبراءة الله - عز وجل - من ذلك، وأن الله لم يخلق ذلك ولم يقدره، ونفي تكليف ما لا يطاق عن الله - عز وجل - .

وعند النظر في مذهب الزيدية في العدل نجد أنه موافق لما عليه المعتزلة، وقد سار أئمة المعتزلة على ذات المنهج فهذا القاضي عبد الجبار يعرف العدل، فيقول: "فإذا قيل: إنه عدل، فالمراد به أن أفعاله كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يُخلُ بما هو واجب عليه" .

فيلاحظ من هذا كله أن مذهب الزيدية في العدل هو مذهبٌ معتزلي، وكان الداعي للقول بالعدل: هو أن المعتزلة والزيدية يرون أن الله عندما يخلق في العبد المعصية ثم يعاقبه عليها، فإن في هذا إخلال بالعدل الإلهي، إذ ليس من العدل أن يعاقبه ما ليس في قدرته وإنما يجزيه على فعله هو لا على فعل الله فيه.

### ثالثاً : الإيمان ومرتكب الكبيرة .

ذهب الإمام زيد بن علي عليه السلام مع المعتزلة إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، فالمعاصي لا تنقصه والطاعات لا تزيده ، ان الايمان الصحيح يقتضي العمل حتما ، فالعمل والايمان متلازمان فمن لا يعمل عاص ومرتكب كبيرة .

لكن ما هو موقف مرتكب الكبيرة إذا كان الايمان لا يزيد ولا ينقص ؟ لقد وضعه واصل بن عطاء شيخ المعتزلة في منزلة بين المنزلتين (بمعنى ليس مؤمناً وليس كافراً وإنما هو في منزلة بين الكفر والايمان وهي الفسق ) ولكن زيदा يختلف مع المعتزلة في المنزلة بين المنزلتين ، ولقد ذهب إلى عقيدة الجمهور ، وهي أن مرتكب الكبيرة لا يذهب عنه اسم الايمان ولا اسم الاسلام ، بل يعذب حيناً من الدهر (على فعله للكبيرة) ثم مرده الى الجنة .

#### رابعاً : الوعد والوعيد .

ومعناه ان الله سيفعل ما وعد به وتوعد عليه ، فقد وعد الله تعالى المطيعين بالثواب ، وتوعد العصاة والمجرمين بالعقاب .

#### خامساً : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والمقصود بالأمر بالمعروف : ايقاع المعروف ، وبالنهي عن المنكر : زوال المنكر ، وهذا الاصل يقضي بمجاهدة كل من خالف حكم الله أو أمره ونهيه .

#### - فرق الزيدية :

ذكر مؤرخو العقائد للزيدية فرقاً وهم بين مقتصر على الثلاثة، وإلى مفيض إلى ستة، وإلى ثمانية منها: الجارودية والسليمانية والصالحية ، إلى غير ذلك من الفرق، وبما أنّ هذه الفرق كلّها قد بادت وذهبت أدراج الريح مع بقاء الزيدية في اليمن، ولا يوجد اليوم في اليمن بين الزيدية من المفاهيم الكلامية المنسوبة إلى الفرق كالجارودية أو السليمانية أو البترية أو الصالحية إلا مفهوم واحد، وهو المفهوم العام الذي تعرّفت عليه، وهو القول بإمامة زيد عليه السلام والخروج على الظلمة واستحقاق الإمامة بالطلب والفضل لا بالوراثة مع القول بتفضيل عليّ عليه السلام وأولويّته بالإمامة وقصرها من بعده في البطنين الحسن والحسين رضي الله عنهما .